دير القديس أنبا مقار برية شيهيت

العنصرة

الأب متى المسكين

كتاب: العنصرة.

المؤلف: الأب متى المسكين.

الطبعة الأولى : ١٩٨٢.

الطبعة الثانية : ضمن كتاب: "الروح القدس الرب الحيي"،

(ضمن سلسلة الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية،

الجزء الخامس)منذ عام ١٩٨١ والطبعات

التالية له.

الطبعات اللاحقة: ٢٠١١-٢٠٠٢

الطبعة الخامسة: ٢٠١٤.

مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون.

ص.ب. ۲۷۸۰ القاهرة.

الناشر: دار مجلة مرقس ص.ب ٣١ شبرا القاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٢ / ٢٠٠٢

رقم الإيداع الدولي: 0-132-240 ISNB 977-240

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر.

يُطلب من:

دار مجلة مـــرقس

القاهرة: ۲۸ شارع شبرا – تليفون ۲۵۷۷۰٦۱ ٤

الإسكندرية: ٨ شارع جرين – محرم بك ت: ٩٥٢٧٤٠

أو من: مكتبة الدير

أو من خلال الموقع على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

المحتويات

سفحة		
٥		أولاً: في معنى العنصرة
٩	(أ) معنى الريح في المفهوم اللاهوتي	ثانياً: في مظهر العنصرة
11	(ب) معنى النار في المفهوم اللاهوتي	
۲۱	(أ) أقنوم الروح القدس	ثالثاً: في أقنوم العنصرة
۱۹	(ب) علاقة الروح القدس بالآب والابن	
۲۱	(ج) إرسال الروح القدس إلى الكنيسة	
۲۳		رابعاً: في سر العنصرة
۲ ٤	(أ) الهيئة التي حل بها الروح القدس	
70	(ب) النتائج التي ترتبت على حلول الروح القدس	
۲۹	. (أ) عمل الآب في الإنسان الجديد	خامساً: في إنسان العنصرة
٣٣	(ب) عمل الابن في الإنسان الجديد	
٣9	(ج) عمل الروح القدس في الإنسان الجديد	
٣9	(أولاً) الروح القدس والماء (الميلاد الثاني)	
٤٥	(ثانياً) الروح القدس والميرون (المسحة)	



أولاً ـ في معنى العنصرة

أصل الكلمة(١):

كلمة العنصرة كلمة عبرية أصيلة، وهي ليست أرامية ولا سريانية؛ وهي تستعمل فيه في العبرية وهي تستعمل فيه في العبرية القديمة تماماً. وأصل الكلمة "عسار" ومنها كلمة "عسريت" التي جاءت منها كلمة العنصرة. والكلمة "عسار" معناها "اجتمع" أو "جمع"، حيث كانوا يجتمعون ويعيدون في هذا العيد. وهي تأتي بمعنى "منع" أو "امتنع" لأنه يمتنع فيه العمل لأنه يوم مقدس.

وعيد العنصرة عند اليهود هو "عيد الأسابيع"، أو "عيد الحصاد"، أو "عيد الخمسين"، وعيد الأسابيع ترجمته العبرية "هَجْشبعوت"، حيث "حاج" بمعنى عيد، و"شبعوت" = السبوعات أي الأسابيع. ويسميه العلماء وبالأخص علماء التلمود "عَسَريت"، أما عيد الحصاد فترجمته العبرية "حاج هفصير" حيث "هفصير" هو الحصاد، وأُطلق على هذا العيد في الترجمة اليونانية للتوراة كلمة "بنتيكسيق" أي الخمسين.

والكنيسة استعارت هذه الكلمة (العنصرة) كما هي وأطلقتها على عيد حلول الروح القدس. ولأنه يقع في اليوم الخمسين من قيامة الرب

Dictionnaire de Maleh. (\)

فهي تسميه أيضاً بعيد "البنتيكستي" أي عيد الخمسين.

وكلمة "العنصرة" تشير في أصل اشتقاقها اللغوي إلى "الجمع" أو "الحفل"، لذلك فالكنيسة مُحقَّة أيضاً في جعل اسم العنصرة وقفاً على هذا العيد بالذات، لأن في هذا اليوم تقدَّس محفل التلاميذ بحضور الروح القدس تقديساً مستمراً، فصار ذلك المحفل المقدس كنيسة مقدسة، لم يفارقها الروح القدس منذ ذلك اليوم إلى وقتنا هذا.

لا عجب إذن أن تعيِّد الكنيسة عيد العنصرة، هو عيدها.

وهي لا تغفل في عيدها هذا أن تصلي مع الكنيسة المنتصرة أحتها التي في السماء، فترفع في هذا اليوم بخوراً كثيراً جداً مع صلوات متواترة على أرواح المنتقلين كنوع من الشركة المتصلة وتبادل الشفاعة، لأنها ترى في ذلك كمال التعييد!

* *

في سفر التكوين نقرأ كيف خلق الله الإنسان من تراب الأرض؛ خلقه وأعطاه نسمة حياة على صورته ومثاله. وقصة سقوط الإنسان في المعصية وانغلابه للشر والخطية، وسريان حكم الموت في كيانه الإنساني قصة تحوي من الأسرار العميقة شيئاً لا يُستهان به، نود لو نعود إليها بالشرح والتوضيح في مناسبة أخرى لو يشاء الله ذلك، ولكننا نعلم على كل حال أن الإنسان الأول أنسل نسلاً بعد قبوله الموت في كيانه نتيجة لخطيئته، وبذلك صار كل بني آدم في الخطية يولدون وبالخطية يموتون.

كان هذا إلى أن جاء المسيح الرب منقذ جنسنا من الخطية والموت. لأنه «هو نفسه حمل خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر.» (ابط ٢٤:٢)

ولما مات المسيح رفع عنا حكم الموت: «لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية» (رو ٢٠:٦). وبذلك صارت طبيعتنا البشرية حرة مرة أخرى؛ ولكن ظلت في حاجة إلى قوة جديدة تحفظها، وإلى عمل إلهي جديد يرفعها إلى مستوى القداسة اللائقة بحياة الشركة مع الله: «لكي لا يعيش (الإنسان) أيضاً الزمان الباقي في الجسد لشهوات الناس بل لإرادة الله.» (ابط ٢:٤)

في يوم الخمسين من موت الرب وقيامته تقبَّلت الطبيعة البشرية هذه القوة الروحية الجديدة، تقبَّلتها بصورة ظاهرة، فحلَّ الروح القدس على التلاميذ حهاراً بصوت مسموع ومنظر أخَّاذ، ودخل وملاً الطبيعة البشرية فحدّد خلقتها وقوَّاها ورفع من مستواها الروحي بشكل عملي إعجازي فائق، أدهش الذين عاينوا حوادث ذلك اليوم العظيم الخالد.

في يوم الخمسين حدث فعل خِلْقي جديد في طبيعة الإنسان، ظهرت مفاعيله في سلوك التلاميذ وفي إمكانياتهم وفي لغتهم وفي مفهوماتهم وفي علمهم، الأمر الذي حيَّر رؤساء الكهنة والحكام؛ ولكن لم يقتصر هذا التغيير المفاجىء الشديد على التلاميذ، بل المدهش حقاً أنه انتقل إلى كل من آمن واعتمد وقبل وضع اليد، حتى فهم جيداً أن حلول الروح القدس على التلاميذ كان عملاً تكميلياً لأعمال الخليقة الأولى. لـذلك نرى أن يوم الخمسين أصبح مرتبطاً باليوم السادس من سفر التكوين ارتباطاً جوهرياً من حيث خلقة الإنسان.

فالعنصرة من هذا الوجه ميلاد جديد للتلاميذ في طبيعة جديدة خلقها المسيح من جسده بموته وقيامته وعمل الروح القدس.

وحينما نتأمل في الوضع الذي كمل فيه هذا العمل الخِلْقي الجديد نندهش إذ نجد أنه لم يتم بصورة فردية كخلقة آدم الأولى، بل كان التلاميذ مجتمعين معاً «مع النساء ومريم أم يسوع» (أع ١٤:١) في حالة خشوع وصلاة. إذن، فطبيعة الإنسان استقبلت خلقتها الروحية الجديدة على صورة كنيسة!!!

هذا معناه أن ميلاد الإنسان الجديد محصور في ميلاد الكنيسة، وطبيعة الإنسان الجديدة لابد وأن تشمل في صميم حوهرها ارتباطاً حياً وصلة وثيقة بالكنيسة. لا توجد فردية في الخليقة الجديدة!

نحن نأخـذ طبيعة الإنسان الجديد من الكنيسة، ولا يمكن لأحد أن يولد من الماء والروح ويصير خليقة جديدة في المسيح يسوع خارج الكنيسة.

العنصرة، إذن، عيد الكنيسة، هو ذكرى ميلادها.

ميلاد الكنيسة ليس قصة، هو حياة متحدة بطبيعة الروح القدس.

نحن نحيا في ميلاد كنيستنا، نحيا في طبيعتها الجديدة المتحدة بالمسيح والروح.

العنصرة عيد الحياة بالروح للذين يعيشون حقاً في المسيح.

ثانياً: في مظهر العنصرة

استُعلن الروح القدس في يوم الخمسين في مظهرين: مظهر ريح عاصف، ومظهر ألسنة من نار.

+ «ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة، وصار بغتةً من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم.» (أع ٢:١-٣)

(أ) معنى الريح في المفهوم اللاهوتي:

مما يلفت النظر في اللغتين العبرية واليونانية أن الريح والروح لهما كلمة واحدة تعبّر عنهما، ولكن لا تقتصر الصلة بين الريح والروح في الاشتراك اللفظي فقط، بل نكتشف من حديث المسيح مع نيقوديموس في الأصحاح الثالث من إنجيل يوحنا أن هناك تشابها بين طبيعة عمل الريح وعمل الروح من وجهة الميلاد الجديد من الماء والروح: « الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها، لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب، هكذا كل من وُلد من الروح.» (يو ٨:٣)

وأكثر من ذلك نلاحظ أن حضور الله كثيراً ما يكون مقروناً بهبوب رياح عاصفة، فمثلاً في سفر أيوب نقرأ هكذا: «فأجاب الربأيوب من العاصفة.» (أي ١:٣٨)

وفي المزمور الخمسين نقرأ: «يأتي إلهنا ولا يصمت، نار قدامه تأكل وحوله عاصف جداً.» (مز ٣:٥٠)

وناحوم النبي يتكلم من جهة ذلك: «الرب في الزوبعة وفي العاصف طريقه» (نا ٣:١)، وموسى مع الشعب ارتعبوا لما خاطبهم الرب: «من وسط النار والعاصف» (تث ٥:٢٢و٢٣)(٢). وإيليا أيضاً لم يواجه الله إلا بعد عبوره في الريح العاصف: «وإذا بالرب عابر وريح عظيمة وشديدة قد شقّت الجبال وكسّرت الصخور أمام الرب.» (١مل ١١:١٩)

أما في سفر حزقيال فنعثر على عمل الريح والروح معاً في اصطلاح واحد يعبِّر تعبيراً عن وحدة سرية في المفهوم اللاهوتي بينهما، إذ يقول النبي: «فقال لي: تنبأ للروح، تنبأ يا ابن آدم وقل للروح هكذا قال السيد الرب: هلم يا روح من الرياح الأربع وهب على هؤلاء القتلى ليحيوا» (حز ٩:٣٧)، فمع أن الهبوب هو من طبيعة الريح إلا أننا نجده هنا من عمل الروح أيضاً.

من ذلك نستطيع أن نكوِّن فكرة من وجهة لاهوتية عن الريح العاصف الذي اقترن به الروح القدس وقت حلوله يوم الخمسين، فهو في الواقع تعبير عن حضور الله، هو إشارة واضحة عن لاهوت الروح القدس، وبالأحص قول الكتاب عنه:

+ «صار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة».

⁽٢) حسب الرجمة السبعينية. ويُلاحظ أن هذا النص يُقرأ ضمن نبوات الساعة الأولى من صلوات السجدة، مساء يوم عيد العنصرة.

فهو ريح سمائي، نقرأ عنه فيما بعد أنه ملاً البيت ثم ملاً جميع الحاضرين في البيت. إذن، فهو ريح مالئ للمكان والزمان والكيان، الله وحده هو الذي يملأ المكان والزمان والكيان.

لذلك نجد في هذا الريح السمائي، الحاضر في المكان والمالئ الكل، حضوراً إلهياً وإنما على نمط جديد؛ ففي العهد القديم نجد بعض أمثلة فردية حلَّ فيها الروح، ولكنه كان حلولاً مؤقتاً ومغلقاً، مغلقاً لأنه لم يكن يستطيع أن يؤثر في الطبيعة البشرية آنذاك تأثيراً عاماً مولداً كما حدث يوم الخمسين، وصار ينتقل إلى كل من يعمده التلاميذ ويضعون عليه اليد.

الىروح استطاع يوم الخمسين أن يدخل التلاميذ ويملأهم كما يملأ الريح المكان؛ لأن حجاب الخطية الذي كان يفصل الطبيعة البشرية عن عمل الروح رفعه المسيح إلى الأبد.

(ب) معنى النار في المفهوم اللاهوتي:

لو رجعنا للآيات والأمثلة التي تكلمنا فيها عن حضور الله في الرياح العاصفة، نجد أن الريح فيها مقترنة بالنار دائماً. لذلك، فمعنى اقتران الريح بألسنة النار في يوم الخمسين أمر ذو بال من حيث المعنى اللاهوتي.

ولكننا نحد في النار تعبيراً أقوى عن شيء ما في طبيعة الله، حتى قيل مرة: إن «إلهنا نار آكلة» (عب ٢٩:١٢)، بل ورأينا النار المشتعلة

في العلَّيقة تعبيراً مباشراً عن حضور الله؛ والتقليد يحدثنا عن نار العلَّيقة أنها تعبير واقعى عن طبيعة اللاهوت.

وإذا أضفنا إلى ذلك حضور الله في عمود النار ليلاً في محلة الإسرائيليين واستجابة الرب من السماء بنار على ذبائحه المقبولة، وحضور الله في هيكل سليمان يوم تدشينه على هيئة نار، كل هذا يوجّه فكرنا إلى معنى ألسنة النار المنقسمة التي ظهرت يوم الخمسين؛ فهو تعبير عن عمل طبيعة الله يوم الخمسين وإشارة ضمنية إلى طبيعة الروح القدس الناري.

كان التلاميذ المحتمعون في حالة خشوع وصلاة، يقدمون ذبائح شكر من شفاه معترفة بفضل الرب يسوع؛ فكانت استجابة الرب من السماء كما هي العادة بنار استقرت على كل واحد منهم.

كانت النار الإلهية قديماً تأكل الذبيحة كلها، لأن الذبيحة كانت تحمل حطايا مقدمها، ولكن نار يوم الخمسين لم تحرق التلاميذ لأن خطايا التلاميذ حملها الرب في حسده على الخشبة.

نار يوم الخمسين كانت للإنارة والتطهير، وجدت تلاميذ مجتمعين باسم الرب بأذهان مستعدة لقبول الحق، لذلك استقرت عليهم النار على هيئة لسان. واللسان الناري يشير إلى معرفة الحق والنطق به: «متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق.» (يو ١٣:١٦)

نحن وجدنا الريح يملأ المكان كله وجميع الحاضرين، وكان هذا توضيحاً لعمل الله المتساوي في طبيعة الإنسان الواحدة. أما النار الإلهية فنجدها تنقسم وتتوزع على كل واحد منهم بمفرده، توضيحاً لتقسيم المواهب حسب قياس قامة كل واحد في الإدراك والإيمان.

إذن، فالطبيعة البشرية تتحدد بالتساوي، أما المواهب فتُمنح بتقسيم وامتياز وتفاوت.

ولكن لا نستطيع أن نقف عند حد الاستنارة في معنى المظهر الناري للروح القدس، فنحن لا زلنا نرى في ألسنة الروح القدس النارية التي استقرت على التلاميذ تعبيراً إلهياً عن معنى انسكاب محبة الله الملتهبة (رو ٥:٥) في قلوب التلاميذ، وتقبُّل روح الغيرة المتأجِّجة نحو الله: «غيرة بيتك أكلتني» (مز ٩٦:٩)، وتعبيراً عن سريان النار الإلهية في طبيعة الإنسان العقلية واشتعالها لتكون ذبيحة حية ناطقة دائمة الاحتراق: «من أجلك نُمات كل النهار، قد حُسبنا كغنم للذبح.» (رو ٣٦:٨)

نار يوم الخمسين كانت نار الله، أنارت فكر الكنيسة بالحق وألهبت قلب الإنسان الجديد بالحب الإلهي والغيرة والبذل.

لقد تشاركت طبيعة الكنيسة البشرية في طبيعة الله النارية يوم الخمسين، ومن هذه الطبيعة وُلد الإنسان الجديد.

الكنيسة استوعبت في يوم الخمسين نار الله فأخصبتها هذه النار وقدَّستها وهي تعطي أثرها الآن لكل المولودين منها.

لسنا في حاجة من جديد إلى ألسنة نارية كيوم الخمسين، لأننا لسنا

أُمَّا بل نحن أولاد؛ لسنا طبيعة والدة بل طبيعة مولودة؛ الكنيسة هي الأم ذات الطبيعة الوالدة.

الكنيسة أُمُّ روحانية خلقها المسيح وأظهرها في العالم حديثاً بتحسده وأخصبها بالروح القدس يوم الخمسين، وهي الآن تلد بنين مقدسين من طبيعتها "المقدسة" المخصبة بنار الله: «إن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى، لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية» (٢ بط ٢:٣و٤). نار يوم الخمسين هي من قدرة الله، هي قوة فائقة من عند الله جاءت فقدست الإنسان.

التقديس هو اشتراك في طبيعة الله "صرنا شركاء الطبيعة الإلهية"، «كونوا قديسين لأني أنا قدوس» (١بط ١٦:١). التقديس من وجهة طبيعة الله نراه فعلاً نارياً، وبالنسبة لأقانيم الله وجدناه من احتصاص الروح القدس!!!

الروح القدس يقدِّس.

الروح القدس سبق فقدَّس بطن العذراء ليتصوَّر المسيح فيها ويولد.

وفي يوم الخمسين قدَّس الطبيعة البشرية ككنيسة ليتصوَّر فيها إنساننا الجديد حسب يسوع المسيح ويولد.

نحن نولد من بطن كنيسة تقدُّست "بنار الله" بالروح القدس.

أليس هذا ما وعد به سابقاً: «هو سيعمِّدكم بالروح القدس ونار» (مت ١١٠٣)؟

حينما نعتمد الآن في الكنيسة نولد مقدسين لأن كنيستنا «مقدسة.» (أف ٢٧:٥)

أليس هذا هو لقبها الأول: "كنيسة مقدسة جامعة رسولية أرثوذكسية"؟

الكنيسة اعتمدت «بالروح القدس ونار»، وأما نحن فنولد من معموديتها «من الماء والروح.» (يو ٣:٥)

النار تحرق كل حياة أرضية وتبيدها، لذلك إذا هي اقترنت بالروح القدس: «الروح القدس ونار»، فهي تعني حتماً حياة إلهية محضة حالية من كل ما هو أرضي. هذه هي طبيعة الكنيسة، إلهية في كل شيء وبكل معنى، خالدة.

أما الماء فهو يحيي كل ما على الأرض، ولا شيء يمكن أن يحيا على الأرض بدون ماء!! لذلك حينما يقترن الماء بالروح القدس فهو يعني حياة بشرية على الأرض، ولكن حسب الله!! وهذه هي طبيعة كل من يولد من الكنيسة: يحيا على الأرض، ولكن «ليس حسب الجسد بل حسب الروح.» (رو ٨:٤)

ثالثاً: في أقنوم العنصرة

(أ) أقنوم الروح القدس:

+ «متى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي.» (يو ٢٦:١٥)

في كتاب العهد القديم نقرأ عن أنواع من الحلول المفاجئة فردية لروح الرب (إش ٢:١١، ١:٦١)، حينما كان يحل على الأنبياء متكلَّماً فيهم؟ ولكنه لم يكن حلولاً أقنومياً؛ بل بقوته الكاشفة للحاضر والمستقبل وفعله التنبُّؤي فقط. لم يكن له في العهد القديم أثر واضح دائم في طبيعة الإنسان.

أما ابتداءً من يوم الخمسين فهو يحل بكل هباته وعطاياه، يحل بشخصه كمحيي ومعزّ ومُبكّت.

كان يُعرف في العهد القديم بـ«روح الرب»، أما في يوم الخمسين فاستُعلن أقنومه المتميِّز «الروح القدس»، واستُعلنت صفته الخصوصية «الباراكليت» (= المعزي). والقديس باسيليوس في رسالته عن الروح القدس يصفه هكذا:

[إن اسمه الخاص الذي يكشف عن طبيعته هو «الروح القدس»، وهو ينم عن خلوِّه من معنى المادة خلوًّا مطلقاً، وعدم تجسده

بهيئة ما، كما يكشف ضمناً عن عدم قابليته للانقسام، والاسم ينص على أنه مصدر التقديس.](٣)

أما عن كلمة «باراكليت» التي ترجمتها «المعزِّي»، فيقول القديس باسيليوس:

[يدعى الروح القدس بـ«الباراكليت» كما يُدعى الابن بـ«الوحيد»، والمسيح نفسه قال: «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد» _ حيث هنا كلمة «معزِّي» ترجمة لكلمة «باراكليت».](٤)

وفي الحقيقة، نجد أن عمل الروح القدس وتعرُّفنا عليه كأقنوم قد بدأ قبل يوم الخمسين، إذ نقرأ عنه أنه حلَّ على العذراء بصفته الأقنومية لتحمل في بطنها الابن متحسَّداً.

ثم نقرأ عنه في عماد الرب لما حلَّ عليه في الأردن ليمسحه للخدمة. ثم مرة أخرى أنه أقام الرب يسوع المسيح حياً من بين الأموات.

من هذا نتبيَّن العلاقة الوتيقة التي بين الروح القدس والمسيح؛ فسواء قديماً في النبوات، أم حديثاً في الميلاد والعماد والقيامة، نجد الروح معلناً المسيح!!

ونحن في العنصرة لم نستقبل الروح القدس لنتعزَّى به عِوَض المسيح؛ فالروح القدس جاء ليشهد للمسيح ويهيِّئنا للاتحاد به، وهو لا

St Basil, On the Spirit, Hom IX, NPNF 2nd Ser, VIII, p 15. (T)

Ibid., Hom XIX, NPNF 2nd Ser, VIII, p 30. (£)

يزال يعمل لهذا ولن يكفَّ عن ذلك إلى الأبد: «يمكث معكم إلى الأبد» (يو ١٦:١٤)، «لا يتكلم من نفسه، ذاك يمجِّدني لأنه يأخذ مما لى ويخبركم.» (يو ١٣:١٦و٤)

فغاية الروح القدس هي أن يُعرِّفنا المسيح؛ كما أن غاية المسيح أن يُعرِّفنا الآب؛ فكما أن «ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي (بالمسيح)» (يو ٢:١٤)، كذلك أيضاً: «ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس.» (١ كو ٣:١٢)

إذن، فليس للروح القدس عمل منفصل عن عمل الابن؛ بل إنه يعمل فينا ليكون إنساننا الجديد له «سمات الرب يسوع» (غل ١٧:٦)، وليكون «المسيح حياتنا» (كو ٣:٤)، وليصير لنا «فكر المسيح» (١ كو ١٦:٢)، و «يحل المسيح بالإيمان في قلوبنا» (أف ١٧:٣)، وأن نكون «أعضاء المسيح»، «من لحمه ومن عظامه» (أف ٢٠:٥). غاية الروح القدس فينا هي المسيح: أن يشهد فينا له، وأن يشهد لنا أمام الآب، أن يقدسنا في المسيح ويُقدِّمنا بالمسيح إلى الآب، لهذا _ ولهذا فقط _ أرسله المسيح من عند الآب!

إن الروح القدس هو الأقنوم الثالث؛ هو الرب المحيي؛ نحبه ونعبده في شخصه مع الابن والآب بلاهوت واحد.

قلنا إنه أقنوم العنصرة، أي الأقنوم الذي استُعلن لنا يوم الخمسين بكمال بهائه وضيائه وعظمته. روح الحق الذي يُعلِّمنا أن نسجد بالروح والحق؛ لهذا رتبت الكنيسة الرشيدة المؤيَّدة بالروح القدس أن

تكون صلوات عيد العنصرة والجميع سجوداً: «ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له، الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا.» (يو ٢٣١٤و٢٤)

جميع الناس يسجدون لله، ولكن قليلين مَنْ يسجدون لله بالروح والحق!

الكنيسة تعيِّد للعنصرة وهي ساجدة إكراماً للأقنوم الثالث الذي علَّمنا الحق!

العنصرة عيد السجود لله بالروح والحق.

(ب) علاقة الروح القدس بالآب والابن:

+ «ومتى جاء المعزِّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الـذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي.» (يو ٢٦:١٥)

لسنا في صدد بحث لاهوتي؛ ولكن قول المسيح: «أُرسله أنا إليكم من الآب»، أجبرنا أن نتتبَّع المعنى اللاهوتي في كلمتي "الانبثاق" و"الإرسال".

لو تعمقنا معنى الانبثاق نفهمه أنه دوام الانبعاث كانبعاث النور من مصدره أو كانبعاث الروح من مصدر الحياة، حتى إن كلمة "انبعاث" في الأصل العبري تحمل تماماً معنى "الانبثاق".

وقد رجعنا إلى القديس باسيليوس في إحدى رسائله عن الروح القدس، فوجدناه يتكلم عن الانبثاق هكذا:

[الروح القدس الذي من نبعه تستمد كل الخليقة صلاحها هو متصل بالابن ولا يُدرك إلا متصلاً به، أما كيانه فيأخذه من الآب الذي ينبثق منه ... الابن هو الذي يعلن الروح القدس؛ الروح القدس ينبثق من الآب في الابن ... الروح القدس يُستعلن في الابن وبه.](٥)

وقول القديس باسيليوس ينير عقلنا حداً، وحصوصاً في جعل الانبثاق شديد الوضوح أنه من الآب فقط ولا يمكن أن يكون من الآب والابن، إذ جعل الانبثاق فعلاً غائياً، أي له غاية، وغايته تنصب في الابن: منبثق من الآب في الابن.

إذن، لا يمكن أن يكون منبثقاً من الآب والابن، وإلا لزم أن يكون منبثقاً منهما في آخر أو إلى آخر، ومَنْ يكون هذا الآخر؟

لا يمكن أن يكون العالم أو الإنسان، لأن هذا معناه: إما أن يكون العالم أو الإنسان قائماً أزلياً كأزلية الانبثاق! وإما أن الانبثاق نفسه للتعلق بالعالم أو الإنسان (غير الأزلي) لل هو أيضاً غير أزلي، وكلا الوضعين خطأ.

أما إذا قيل أن الروح القدس منبثق من الآب والابن إلى لا شيء، فهنا تُصاب كلمة "الانبثاق" بعجز كلِّي يُفقدها معناها ومبناها، كأن تقول مثلاً: إن النور منبثق من المصباح إلى لا شيء. فالنور إن لم يكن له ما يستقبله كيف يُدعَى نوراً وكيف يُقال إنه منبثق؟

St Basil, Letter XXXVIII, 4; NPNF 2nd Ser, VIII, p 138. (°)

كذلك الروح القدس هو روح ونور وحق وحياة وحب منبثق من الآب ومستقر في الابن، مُعلَن أيضاً بالابن؛ وعلى هذا الأساس استطاع المسيح أن يرسله من عند الآب!

(ج) إرسال الروح القدس إلى الكنيسة:

لقد استُعلنت الكنيسة أول ما استُعلنت في تجسُّد الابن؛ لأن اتحاد اللاهوت بالناسوت هو في الواقع أصل ومعنى وحقيقة الكنيسة (احتماع الله بالناس).

لذلك فظهور الله في حسد إنسان هو أول استعلان لطبيعة الكنيسة، وتحقيق وحودها عملياً على الأرض.

الروح القدس كان واسطة هذا الاتحاد السرِّي الذي تم بين اللاهوت والناسوت؛ فقد تسلَّمنا من التقليد الشريف أن بطن العذراء حملت نار اللهوت كما حملت العُلَّيقة نار الله وهي مشتعلة فيها دون أن تحترق: «لأن الذي حُبل به فيها هو من الروح القدس.» (مت ٢٠:١)

فإذا نحن نظرنا إلى المسيح المولود من العذراء من وجهة اللاهوت الكنسي لتيقّنا أنه هو هو الكنيسة في معناها الإلهي المطلق، وما بَقِيَ علينا بعد ذلك إلا أن نبحث كيف نتحد بهذه الكنيسة، أو كيف نصير نحن كنيسة!

معروف أن جسد المسيح الإلهي هو الكنيسة: «إيَّاه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكلَّ في الكلِّ.» (أف ٢:١١و٢٢) إذن، الاتحاد بالكنيسة يعني بلا شك الاتحاد بالجسد الإلهي. لا يمكن الاتحاد بالجسد الإلهي إلا بتوسط الروح القدس. ويشترط أن يتم هذا الاتحاد بفعل الإيمان؛ لذلك فهو لا يتم بالعيان المنظور أو المحسوس وإنما سرًّا. إذن، فمجيء الروح القدس أمر لازم لاتحادنا بالكنيسة، واختفاء حسد المسيح المنظور أمر لازم لتكميل هذا الاتحاد بالإيمان. بهذا نفهم قول المسيح: «إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي؛ ولكن إن ذهبت أرسله إليكم.» (يو ٢:١٦)

هذا حق ومنطقي أيضاً، أن لا يأتي الروح القدس ليعمل الكنيسة الجديدة الجامعة طالما كانت الكنيسة الوحيدة حسد ربنا يسوع قائمة منظورة على الأرض.

كان يلزم بالفعل أن ينطلق المسيح بجسده المنظور وبشخصه المعزي فيرسل معزِّياً آخر مساوياً له، أي الروح القدس: «وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد» (يو ١٦:١٤)، لكي بتوسطه يصنع من حسده الإلهي السرِّي الكنيسة الجامعة.

رابعاً: في سر العنصرة

(أو ماذا تم بين المسيح والكنيسة بحلول الروح القدس)

لمَّا انسكب الروح القدس على التلاميذ حصل تحديد واضح في طبيعتهم؛ بل نستطيع أن نقول إن طبيعتهم تغيَّرت معاللها تغييراً كليًّا؛ لقد صاروا شيئاً حديداً أو بلغة الكتاب صاروا أناساً آخرين (١صم ٢٠١٠). وأصبح التلاميذ المحتمعون في العلية قوة حديدة من نوع لم تألفه البشرية قبل ذلك.

ويهمنا أن نلاحظ أن التغيير أو التحديد لم يكن فردياً بل جماعياً.

لم يكن هذا نتيجة قوة مبهمة حلَّت عفواً على التلاميذ فألهبتهم للخدمة أو منحتهم ألسنة جديدة وشجاعة للعمل، كما يظن بعض المحدثين؛ ولكن كان هذا نتيجة تغيير جوهري أصاب طبيعة التلاميذ في صميم كيانها؛ أما هذه المواهب وهذه التغييرات التي ظهرت على التلاميذ في حياتهم وسلوكهم فكانت مظاهر ونتائج ثانوية تنبىء بما حدث في الطبيعة البشرية، ممثَّلة في التلاميذ والرسل الذين تعتبرهم الكنيسة الأولى "كنيسة الرسل".

أما ماذا حدث لطبيعة الكنيسة الأولى وقت حلول الروح القدس، فنستطيع أن ندركه من الملابسات التي رافقت حلول الروح القدس ومن النتائج التي ترتبت على هذا الحلول:

(أ) الهيئة التي حل بها الروح القدس يوم الخمسين:

لم يحل الروح القدس بهيئة حمامة كما حلَّ في وسط مياه الأردن ليعطي قوة العماد بالماء والروح، بل حلَّ بألسنة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم. إذن، فنحن أمام «عُليقة مشتعلة بالنار» حسب الرمز، أو طبيعة إلهية متحدة بطبيعة بشرية حسب شرح الرمز أو صورة النبوة بميلاد المسيح من العذراء كما تسلمنا من التقليد الشريف!!

إذن حلول الروح القدس يوم الخمسين لا يشير إلى منح قوة روحية مجردة أو منح عطايا ومواهب جزافاً، بل الأمر جد خطير. فهنا إشارة سرية إلى أنه حدث اتحاد غير منظور بين طبيعة إلهية وطبيعة بشرية، وماذا تكون الطبيعة الإلهية إلا جسد المسيح السري بالذات الذي سبق المسيح وأشار إلى أخذه وأكله والاتحاد به والثبوت فيه!! كان لا يمكن ولا يستطيع التلاميذ أن يتقبّلوا الطبيعة الإلهية بدون المسيح؛ بل ولم يكن ممكناً أن يتقبّلوا الروح القدس كأقنوم إلا على أساس الاتحاد يحسد المسيح، فالجسد الإلهي هو الطريق الوحيد الذي يوصّلنا بالله، ويوصّل الله بنا: «فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقاً كرّسه لنا حديثاً حيًا بالحجاب أي جسده.» (عب يسوع، طريقاً كرّسه لنا حديثاً حيًا بالحجاب أي جسده.»

إذن، غاية التحسد الإلهي قد بلغت ذروتها يوم الخمسين حينما صار الكل في المسيح: «ملء الذي يملأ الكل» (أف ٢٣:١). فالجسد الإلهي المعبَّر عنه بـ«ملء اللاهوت حسدياً» (كو ٩:٢) صرنا منذ يوم

الخمسين "مملوئين فيه." (كو ١٠:٢)

لقد اتحد المسيح بالكنيسة فاكتسبت الكنيسة كل ما للمسيح. لقد صار وكمل في العلية ما بُدىء به في بيت لحم. لقد وُلد المسيح في بيت لحم لتولد الكنيسة في العلية.

(ب) النتائج التي ترتبت على حلول الروح القدس يوم الخمسين:

بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين، قامت الكنيسة فوراً وانطلقت تخدم المعمودية وتجدِّد الآخرين؛ بأي سلطان فعلت الكنيسة هذا؟ هل خدمة المعمودية كانت بسلطان الروح القدس؟ إن كان الأمر كذلك فكيف يستقيم معنى الآية: «الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه، فهذا هو الذي يعمِّد بالروح القدس.» (يو ٣٣:١)

إذن، لا يمكن أن يكون الروح القدس هو الذي يعمِّد بالروح القدس!! بل المسيح نفسه هو صاحب السلطان في التعميد، هو يعمِّد بالروح القدس.

وما هو العماد إلا الشركة مع الرب، شركة اتحاد فعلي في موته ودفنه وقيامته؛ فمن الذي يستطيع أن يعطي سلطان الموت والدفن والقيامة إلا صاحب السلطان فيها!!

إذن، فالكنيسة انطلقت تعمِّد لا بقوة بحردة هبطت على التلاميذ، ولا كهبة خاصة من الروح القدس، ولا حتى بسلطان الروح القدس؛ ولكن المسيح نفسه بشخصه هو الذي كان يعمِّد بالروح القدس بسلطانه الشخصى غير المنظور. وهو لا يزال يعمِّد حتى الآن.

فيجب أن تفرِّق الكنيسة بين الكاهن الذي يخدم السرَّ وبين المسيح مُجري السر بسلطانه الشخصي بتوسط الروح القدس.

ومن هذا يتضح لنا أن النتائج التي أسفر عنها حلول الروح القدس يوم الخمسين وأهمها وأخصها قدرة الكنيسة على العماد الذي يتضمن إعطاء طبيعة جديدة مخلوقة في المسيح؛ يشير إشارة واضحة صريحة أن الكنيسة قبلت يوم الخمسين شخص المسيح، مسيح الأردن، المسيح المعمّد. وبذلك كملت شهادة الوحي التي أشار إليها يوحنا المعمدان يوم أن رأى المسيح: «وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذي أرسلني لأعمّد بالماء، ذاك قال لي: الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه، فهذا هو الذي يعمّد بالروح القدس.» (يو ٣٢١)

القديس أغسطينوس يوضح هذا المعنى ويؤكِّده:

[ربما يدهشكم أن تقرأوا عن يسوع أنه «هو الذي يعمّد بالروح القدس»، ثم يعود الكتاب يقول: «مع أن يسوع لم يكن يعمّد بل تلاميذه»، فما هو هذا الأمر؟ هل هناك نص خطأ وقع ثم عاد الوحي فصححه؟ حاشا، أم أن كلا النصّين صحيح، وأن يسوع فعلاً كان يعمّد ولا يعمّد؟ الحقيقة هي أن المسيح كان يعمّد بقوة سلطانه، بينما كان تلاميذه يعمّدون الجسد بأيديهم، وهو لم يكف عن التعميد، لأن تعميده كان تطهيراً والتطهير لا يُرى ويسوع لا يزال يعمّد حتى الآن، لأنه طالما نحن نعتمد فيسوع هو المعمّد.

إن سلطان المعمودية الذي أخذه الرب «هو سيُعمِّد بالروح

القدس»، لم يعطِه لأي خادم بل احتفظ بسلطانه، حتى أن كل الذين اعتمدوا من أيدي خدام (كهنة) لا يجوز أن ينسبوا معموديتهم للخدام بل للرب نفسه.

إن سلطان التعميد لم ينتقل من الرب إلى أي إنسان، غير أن خدمة التعميد قد صارت للآخرين، السلطان ذاته لم ينتقل إلى أحد، أما الخدمة فأعطاها للصالح وغير الصالح.](٦)

لذلك نحد الكنائس القبطية القديمة تحتفظ في بيت المعمودية فوق حرن المعمودية مباشرة وإلى جهة الشرق بصورة للسيد الرب خارجاً من ماء الأردن وعليه الروح القدس بشبه حمامة لتعبِّر عن شهادة إيمانها أن المسيح هو الذي يعمِّد، طبقاً لشهادة الوحي التي نطق بها يوحنا: «الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه، فهذا هو الذي يعمِّد بالروح القدس.» (يو ٣٣:١)

هذا هو سر العنصرة، هذا هو الذي تم يوم الخمسين بين المسيح والكنيسة: المسيح اتحد بالكنيسة، بجسده الإلهي، فصار للكنيسة طبيعة حديدة مخلوقة في المسيح يسوع؛ وقبلت الكنيسة تبعاً لذلك شخص يسوع الممسوح بالروح القدس، مسيح الأردن، خادم الجليل، واعظ الناصرة.

St Augustine, Hom. on the Gospel of John, Tractate XV,3; V, 9, 11; NPNF (1) 1st Ser, VII, p. 100, 34, 35.

الكنيسة بعد أن حلَّ المسيح فيها صارت تعمِّد مباشرة، لم تكن هي التي صارت تعمِّد بالماء والروح القدس بل مسيحها شخصياً، رأسها غير المنظور.

حينما مُسح المسيح بالروح القدس في الأردن ليباشر خدمة التعميد، صار هو المعمِّد منذ ذلك اليوم إلى وقتنا هذا وإلى نهاية كل الدهور: «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا ... وعمِّدوهم ... وها أنا معكم» (مت ١٨:٢٨-٢٠). أما الكنيسة فصارت تلد له بنين من بطنها التي هي المعمودية المقدسة بعد أن «تتمخَّض بهم» (غل ١٩:٤) (أي تعظهم بكلمة الخلاص) إلى أن «يتصوَّر المسيح فيهم» (أي يكمل إيمانهم بالمسيح).

خامساً: في إنسان العنصرة

هذا هو محور العنصرة، قوة يوم الخمسين، عمل الروح القدس، غاية المسيح من بيت لحم حتى الجلجثة، موعد الآب الذي تكلم عنه جميع الأنبياء!!

الإنسان الجديد الذي نلبسه في المعمودية هو عمل الأقانيم الثلاثة الإلهية في طبيعتنا البشرية، لتحديد خلقتها من الصورة الآدمية الترابية إلى الصورة المسيحية الإلهية.

نحن نخلع في المعمودية آدميتنا العتيقة بناموسها، لنلبس مسيحيتنا الجديدة ببرِّها: «إذاً إن كان أحدٌ في المسيح فهو حليقة حديدة. الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار حديداً.» (٢ كو ١٧:٥)

(أ) عمل الآب في الإنسان الجديد:

إن كل حوادث يوم الخمسين لم تكن جديدة على فكر المتتبعين للنبوات؛ فقد سبق الله وأوحى إلى أنبيائه بطرق منوَّعة عن إتيان يوم جديد فيه يتغيَّر قلب الإنسان وفكره وروحه؛ ولكن لم يخصّ الله الأنبياء مثلما خصَّ يوئيل النبي بالحديث والتنبؤ عن يوم العنصرة، حتى دُعي من دون جميع الأنبياء بنبي العنصرة.

تكلم يوئيل النبي عن مجيء اليوم الذي سيسكب فيه الله روحه على

كل بشر؛ وظلت هذه النبوة بصفة خاصة تُدعى: «موعد الآب»، لأنها تختص بوعد الله بإرسال روحه في إرسالية عمومية للإنسان: «هذا ما قيل بيوئيل النبي: يقول الله ويكون في الأيام الأحيرة أني أسكب من روحي على كل بشر.» (أع ٢:٢ او١٧)

ويعود المسيح يذكّر تلاميذه قبل صعوده مباشرة بهذه النبوة التي على ما يُظن كان قد شرحها لهم وفسّرها بتدقيق، ودعاها «موعد الآب»: «وفيما هو بحتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني.» (أع ٢:١، لو ٤٩:٢٤) بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني.» (أع ٢:٤، لو ٤٩:٢٤) وصمعوا من حوادث لمّا حلَّ الروح القدس واندهش الحاضرون لِمَا رأوا المسيح عن هذه النبوة بالذات، فقام وأخذ يشرح وعد الآب بيوئيل النبي: «فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم: أيها الرجال اليهود والساكنون في أورشليم أجمعون ... هذا ما قيل بيوئيل النبي» (أع ٢:١٤ ا - ١٦)، وأخذ يشرح لهم موعد الآب كما سمعه من المسيح. واستطرد إلى أن أكّد أن الروح القدس الذي يرونه ويسمعونه هو من الآب وأرسله المسيح حسب وعده: «وإذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب، سَكَبَ هذا الذي أنتم الآن وأخذ موعد الروح القدس من الآب، سَكَبَ هذا الذي أنتم الآن

لذلك، فنحن نعتبر أن الخليقة الجديدة التي أكملها يسوع فينا على صورته في المعمودية بالروح القدس هي أصلاً وعد الآب.

وحتى هذه الصورة الجديدة التي أخذناها في المعمودية التي هي صورة ربنا يسوع المسيح «في البر وقداسة الحق» (أف ٢٤:٢)، لو تعمقنا أصولها لوجدناها هي أيضاً من عمل الآب؛ بل هي امتداد لبهاء صورة الله الآب غير المنظور. فنحن نقرأ لبولس الرسول في الرسالة الثانية لكورنثوس: «المسيح الذي هو صورة الله» (٢ كو ٤:٤)، ثم نعود فنقرأ له في نفس الرسالة كيف نتحوّل نحن بواسطة الروح القدس إلى هذه الصورة الجيدة عينها!! «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف، كما في مرآة، نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح.» (٢ كو ١٨:٧)

وربما نستكثر على أنفسنا ولا نعقل بالمرة كيف أن صورتنا تكون محجَّدة أو أنها تزداد في المجد على شِبه صورة الابن، أو بالحري على شِبه صورة بهاء مجد الله الآب. ولكن أليست خلقتنا الأولى تمت وكملت لتكون على صورة الله: «نعمل الإنسان على صورتنا» (تك على متكلماً بصيغة الجمع، مشيراً إلى الأقانيم الثلاثة؟!! أية صورة مجيدة هذه! إنها أخفيت عن أعيننا بسبب الخطية.

ولكن نحن في المعمودية نغتسل ونتطهر من وسخ الخطية؛ الروح القدس يُقدِّسنا ويجدِّدنا لنحمل مرة أخرى صورة خالقنا في المجدو الكرامة: «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه!!» (كو ٩:٣و٠٠)

ولكن الإنسان الجديد لا يُستعلن تماماً الآن بالرغم من أننا نلبسه لِبساً، فهو يظل كامناً فينا، نحسه ويحسه الآخرون فينا، ولكن لا نراه.

نحن نعيش فيه ولكن في سرِّ، إلى أن يُستعلن تماماً بمجيء الرب: «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله، ولم يُظهَر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أُظهرَ نكون مثله لأننا سنراه كما هو.» (ايو ٢:٣)

ولو عدنا إلى حادثة تحلِّي الرب نقرأ هكذا: «وإذا رجلان يتكلمان معه وهما موسى وإيليا اللذان ظهرا بمجد» (لو ٢٠٠٩و٣١). حينما نخلع هذا الجسد الترابي، يظهر أيضاً محد الداخل. هو مخفي عن أعيننا الآن إلى أن نخلع العتيق تماماً. سنخلعه يوم مجيء الرب فنوجد معه في المحد!! «لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مسترة مع المسيح في الله. متى أُظهِر المسيح حياتنا، فحينئذ تُظهَرون أنتم أيضاً معه في المحد.» (كو ٣:٣)

ويلدُّ لنا أن نعود بهذا المحد إلى مصدره ومنبعه. فالإنسان الجديد المجيد الذي يخلقه فينا الرب يسوع، هو في الواقع استحابة لمشيئة الله الآب: «أن تلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله.» (أف ٢٤:٤)

والمجد الذي سيقوم به هذا الإنسان الجديد عند استعلان وبحيء الرب يسوع هو بعينه المجد الذي قام به يسوع من بين الأموات؛ أما المجد الذي قام به المسيح فهو بعينه مجد الآب!! «كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في حدَّة الحياة.» (رو ٤:٦)

الآن، كم هو جليل حقاً أن نكتشف عمل الآب في خلقة إنساننا الجديد!! أما هذا العمل الجليل فينحصر نوعاً ما، كما رأينا، في إعادة صورة مجده في جبلتنا حسب سابق حكمته في خلقتنا، لإعدادنا للحياة معه «في المجد».

(ب) عمل الابن في الإنسان الجديد:

١ ـ أثر موت المسيح في حياتنا:

إنْ لم تقع حبة الحنطة في الأرض أولاً وتُمت؛ فلا يُنتظَر أن نحصد قمحاً جديداً.

فإن كان لنا أن نفتخر بإنساننا الجديد الذي نناله بالروح القدس في المعمودية، فما ذلك إلا على أساس القوة التي حصلنا عليها بموت الرب والتي بمقتضاها استطعنا أن نخلع العتيق! هذه القوة اللازمة لخلع العتيق تساوي في عمقها اللاهوتي القوة اللازمة لانبعاث الإنسان الجديد!! هذه الحقيقة تتضح لنا أكثر حينما نعلم أنه لكي نحيا ولكي نصير خليقة جديدة، مات الرب على الصليب!!

ونحن نعلم أن «الموت الذي ماته (الرب) قد ماته للخطية» (رو ١٠:٦). إذن، فموت الرب رفع عنا الخطية التي هي سبب موتنا. وهكذا نرى أن موت الرب أحيانا: «ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح.» (أف ٢:٥)

في المعمودية نحن نشترك في موت الرب، والاشتراك في موت الرب هو نفسه اشتراك في حياته بلا شك.

٢ ـ المسيح يجاهد معنا بعد المعمودية:

قوة موت الرب لا تزال تهبنا سلطة أيضاً على الخطية حتى بعد المعمودية. المعمودية لا تلغي الخطية، ولكن الروح القدس يهبنا قوة ضد الخطيئة تستمر معنا كل أيام حياتنا.

نحن نجحد الشيطان والخطية في المعمودية، وبعد المعمودية نجاهد ضدهما: «احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ... لا تملكنَّ الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته ... فإن الخطية لن تسودكم.» (رو ٢:١١و٢١و٤٢)

في المعمودية نحن نتحرر من سلطان الشيطان بقبولنا المسيح إلهاً. نحن نجحد الشيطان علناً تحقيقاً لقبولنا المسيح إلهاً.

المسيح في المعمودية يطرد عنا الشيطان كما كان يطرده من الذين عليهم الأرواح النحسة في الجليل أو في الناصرة. سلطانه لا يزال بيده.

المسيح في المعمودية يمارس خدمته الأولى، يشفي كل مرض وكل سقم في الكنيسة، ويطرد الأرواح النجسة.

المسيح لما اعتمد في الأردن وحلَّ عليه الروح القدس، أصعده الروح إلى البرية ليُحرَّب من إبليس. نحن نأخذ المسيح في المعمودية، وفي الحال يشهد لنا الروح أننا صرنا أولاد الله، ولكن بعد ذلك يُصعدنا الروح إلى برية العالم لنجرَّب من إبليس!

نحن لا نزال بعد المعمودية نكمِّل قوة المعمودية. التوبة هي قوة المعمودية!

في المعمودية نأخذ صورة المسيح في إنساننا الجديد، وبعد المعمودية ننمِّي حواس هذه الطبيعة الجديدة، وندرِّبها في البر والقداسة والحق، كما يحق «للإنسان الجديد المخلوق بحسب الله» (أف ٢٤:٤). مركز المسيح بالنسبة للإنسان الجديد هو الأصل الذي تنحدر منه الصورة؛

وهو مجد هذه الصورة؛ والطبيعة التي تستمد منها صفاتها، والقوة التي تتخذ منها كيانها الدائم ووجودها في الحاضر والمستقبل.

الإنسان الجديد المخلوق في المسيح يسوع حسب الله في البر وقداسة الحق، سيظل في صراع دائم ضد العالم والجسد والشيطان بعد المعمودية.

إبليس ترك المسيح بعد تحربة الجبل إلى حين. إبليس عاد إلى المسيح ليُحرِّبه فينا. المسيح فينا لا يزال يواجه العدو؛ هو يحارب عنا، ولكنه لا يستطيع أن يحارب عنا بدوننا.

صراعنا مع العدو مضمون النصرة إن كنا نلتفت إلى المحارب عنا: «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمِّله يسوع.» (عب ٢:١٢)

هذا الصراع الدائم «من أجلك نُمات كل النهار» (رو ٣٦:٨) هو صراع لذيذ، سمَّاه بولس: «الجهاد الحسن» (٢تي ٧:٤). بولس أكمله بالإيمان وعَبَرَ. سوف نرى في بعض الكلمات القليلة القادمة حينما نتكلم عن المسحة المقدسة، أن صورة الإنسان الجديد مختومة بختم المسيح، والحتم يحمل صورة صاحبه.

نحن معتبرون مِلكاً ليسوع المسيح، كغنمة مُشتراة لتقدَّم ذبيحة طاهرة، أو كعبد مُشترى لخدمة سيده، أو كحندي صالح يحارب حروب الرب.

ولكن الختم لا يحمل صورة رمزية مكتوبة بأحرف ميتة؛ بل صورة حية ناطقة متحركة: «به نحيا ونتحرك ونوجد» (أع ٢٨:١٧). ختم

المسيح هو صلة حية نستمد منها كل ما للمسيح حسب قياس قامتنا الروحية. نحن ننمو في المسيح، وليس لنمونا نهاية إلى أن نبلغ «إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف ١٣:٤)، إلى أن نصل إلى حدود صورة المسيح فينا عينها: «من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح.» (٢ كو ١٨:٣)

وهنا نقف وقفة قصيرة نكشف فيها سر ارتباطنا بالمسيح بتأملنا في "حروف الجر" التي استخدمها بولس الرسول بوفرة ليعبّر بها عن صلتنا السرية واتحادنا الخفي بيسوع المسيح الذي نستمد منه كياننا المسيحي ووجودنا:

دُفنًا معه، متحدين معه بشبه موته، إنساننا العتيق صُلب معه، متنا مع المسيح، سنحيا أيضاً معه، أنتم أحياء لله بالمسيح، لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح، الله اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، الله عيَّننا للتبني بيسوع المسيح، سبق رجاؤنا في المسيح، أحيانا مع المسيح، أقامنا معه، أجلسنا معه في السماويات في المسيح (رو ٢:١٥-١١، ١٠٤).

من هذه التعبيرات اللاهوتية التصوفية يتبين لنا أن صلتنا «بالمسيح» أو «مع المسيح» أو «في المسيح» هي صلة عجيبة ليست من نوع مألوف لدى الفكر، لا يستطيع العقل أن يحيط بمعناها تماماً. نحن نستطيع أن نحسها فقط في أعماقنا، نحسها بالروح في الصلاة فنتحقق من صدق هذه التعبيرات ودقتها، بولس الرسول كان يصف حالة داخلية تملأ كيانه. اسمع وتأمل ما يقول بولس الرسول كأنه يصف رؤيا:

- + «أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ.» (غل ٢٠:٢)
 - + «أما نحن فلنا فكر المسيح.» (١ كو ١٦:٢)
- + «ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم.» (أف ١٧:٣)
 - + «لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله.» (أف ١٩:٣)
- + «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه.» (أف ٥٠٠٥)
- + «لأنكم كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح.» (غل ٢٧:٣)

. ماذا نستطيع أن نعلُق على هذه المشاعر والأحاسيس الإلهية إلا بأن نقول: آمين؟

وليس بولس فقط، بل وآباء الكنيسة عاشوا في هذه الحقائق، لبسوا المسيح لبساً وتغيّروا إلى تلك الصورة عينها!

اسمع القديس غريغوريوس النزينزي يقول:

[إن أجزاءنا التي لا تتغير إلى هذا الشكل تبقى عديمة الشفاء.](٧)

ويشترك معه أيضاً القديس غريغوريوس النيسي:

[نحن نعلم أن كلمة الله صار هو المسيح الرب؛ وكل من يدركه يصير مثله.](^)

ويشترك مع الاثنين القديس يوحنا ذهبي الفم:

Letter CI to Cledonius, PG 37, 181. (Y)

Antirrheticus Adv. Apollin., 53, PG 45, 1251. (A)

[الذي يعتمد للمسيح لا يولد من الله فقط؛ بل إنه يلبس المسيح أيضاً. ولا نأخذ هذا على المعنى الأدبي، كأنه عمل من أعمال المحبة، بل الأمر حقيقة. فالتحسد جعل اتحادنا بالمسيح واشتراكنا في الألوهة أمراً واقعاً.](٩)

وبولس كان حقاً يعيش في المسيح لأن المسيح كان حياته!! فهو لم يقُلُ إن المسيح أحياه فقط بل قال: «لي الحياة هي المسيح» (في ٢١:١)، بل قال أيضاً بصراحة ووضوح: «متى أُظهر المسيح حياتنا» (كو ٣:٤). فإن كان بولس الرسول يحيا في المسيح، أليس هو شريكاً، إذن، في الحياة الأبدية مع الله؟ «هبة الله هي حياة أبدية بالمسيح» (رو ٣:٣١). «إننا ورثة أيضاً، ورثة الله، ووارثون مع المسيح.» (رو ٨:٧١)

ويوحنا الرسول يدعِّم المعنى ويوضح كليَّة صلتنا السرية بالمسيح، باعتبار المسيح هو نفسه الحياة، الحياة الأبدية، بقوله: «الحياة أُظهِرَت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهِرَت لنا... شركتنا هي مع الآب ومع ابنه.» (١يو ٢:١و٣)

أما حواس الإنسان الجديد وسلوكه فلا يرى بولس الرسول أنها تستمد تحديدها فقط من المسيح، بل إنها تعمل بالمسيح، أو على الأصح أن المسيح يعمل بها، فهي حواس المسيح أكثر من أن تكون حواسنا: «المسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء.» (١كو ٢٠٠١)

Cited in: Orthodox Spirituality, by a monk of the Eastern Church, London (1) 1957, p 58.

إذن، تأمل معي أيها القارىء في قيمة التحسد الإلهي، وفي قيمة معمودية الرب، وفي قيمة موته، وفي قيمة قيامته، وما آلت إليه كل هذه من نحونا؛ حتى وكأنما لم تحدث حركة ما في السماء أو على الأرض منذ أول الدهور حتى هذا اليوم الخمسين إلا وكانت تعمل لبناء الإنسان الجديد في المسيح بالروح القدس.

كم هي عميقة ومتسعة وعجيبة حدود خلاصنا! وكم هي سهلة أيضاً! «كيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره؟» (عب ٣:٢)

(ج) عمل الروح القدس في الإنسان الجديد:

أولاً: الروح القدس والماء أو الميلاد الثاني:

نحن أمام قضية نيقوديموس: كيف يولد الإنسان ثانية؟

نترك هنا الكلام للقديس يوحنا ذهبي الفم ليرد على هذا السؤال: [وكما أن قوة النار حينما تتسلط على عروق الذهب الغشيمة المختلطة بتراب الأرض، فإنها تتحول حالاً إلى ذهب نقي؛ هكذا أيضاً بل وأكثر من هذا يعمل الروح القدس في المعمودية في الذين يغسلهم؛ إذ يحوِّهم إلى ما هو أنقى من الذهب عوض الطين، فحينما يحل الروح القدس «كالنار» في نفوسنا يحرق أولاً «صورة الترابي» ليعطي «صورة السمائي» فتصير كعملة حديدة بهيَّة متلاًلئة خارجة من أفران الصهر ١٠٠٠)

St Chrysostom, On the Gospel of John, Hom X, 2; NPNF, 1^{st} Ser, XIV, 36. (1 \cdot)

[أما كيف يُخلق الإنسان جديداً من الماء بواسطة الروح، فبنفس القوة والسر اللذين بهما خُلق الإنسان أولاً من تراب!! وكما تقوَّى التراب وتشدَّد بإرادة الله وصار أعضاءً وأجهزة جسدية كاملة، هكذا وأكثر أيضاً يعمل الروح القدس بالماء صانعاً أموراً عجيبة وفائقة للعقل.

إذن، فلا تشك في عمل الماء والروح في الإنسان الجديد بسبب أنك لا ترى؛ فأنت أيضاً لا ترى نفسك التي فيك.](١١)

ويعود نفس القديس يتكلم عن الميلاد الثاني أيضاً:

[ليس بأم وأب، ليس باضطحاع بشر ولا بآلام المخاض نولد ثانية، ولكن من الروح القدس تُصنع أنسجة طبيعتنا الجديدة، وفي الماء نولد سرًّا كما من الرحم ... الرحم يحتاج إلى زمان كثير ليتشكّل فيه الجسد. أما الماء والروح فمنهما تتشكّل حياة الروح في لحظة، في طرفة عين!! «المولود من الجسد حسدٌ هو، والمولود من الروح هو روح» (يو ٣:٥).](١٢)

(١) الروح القدس صانع هياكلنا الجديدة وموحِّدها:

نحن نعلم أن كل مولود يأخذ شكل والده؛ ففي المعمودية مِمَّن نولد؟ وعلى أي شكل يكون إنساننا الجديد؟

الروح القدس هو الذي يصنع هيكل إنساننا الجديد، يصنعه من

St Chrysostom, Hom. On the Gospel of John, Hom XXV, 1, 2; NPNF 1st (11) Ser, XIV, 88.

Ibid, Hom XXVI, 1; NPNF 1st Ser, XIV, 90. (17)

جسد المسيح السري الذي يملأ السماء والأرض. المسيح دخل العلّية والأبواب مغلقة (يو ٢٠١٩:٢٠)، دخلها بجسده: بلحمه وعظامه (لو ٣٩:٢٤). ولما ظن التلاميذ أنه روح أراهم حسده ولمسوه؛ لحم المسيح وعظامه يمكن أن يُلمس ويمكن أن يُرى ولا يُلمس.

نحن نولد من هذا اللحم ومن هذه العظام عينها: «لأننا أعضاء حسمه، مِنْ لحمه ومِنْ عظامه!!» (أف ٣٠:٥)

الروح القدس يخلق هذا الهيكل الجديد من الجسد غير المنظور، وبعد أن يخلقه يملأه: «أنتم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١٦و ١٦:٣). الروح القدس لا يخلق هيكلنا الجديد جزافاً، ولكن حسب صورة ابن الله؛ ليس من جهة منظر الجسد، ولكن من جهة سمات الروح في كل شيء، وبالأخص في الوداعة والطهارة والحق: «تلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أف ٢٤:٤٢). الروح القدس يقدِّس طبيعتنا الجديدة باستمرار لتحمل صورة المسيح: «لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعيَّنهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه.» (رو ٢٩:٨)

أما القديس أغسطينوس فلا يكتفي بمحرد التشابه، بل يرى أن خلقتنا الجديدة هي امتداد حقيقي في شخص المسيح:

[لنفرح ونُسرَّ ونقدِّم الشكر لإلهنا لأننا لم نَصِر فقط مسيحيين، بل صرنا مسيحاً، أتفهمون هذا أيها الإخوة وتدركون مقدار النعمة التي حلَّت علينا (بالمعمودية)؟ اعجبوا وسُرُّوا جداً، لقد

صرنا مسيحاً ١٣١١)

إذن، فعل الروح القدس الأساسي في إنساننا الجديد هو إعطاؤنا كل ما للمسيح لنصير مناسبين للاتحاد الدائم فيه.

لذلك بعد أن يلدنا الروح القدس في المعمودية، ويُشكِّلنا بطبيعة ابن الله، لا يسَعْه إلا أن «يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله ... ورثة الله ووارثون مع المسيح» (رو ١٦:٨ و١١). إذ أنه لا يرانا ذواتاً مستقلة عن المسيح، بل يرانا قائمين في وحدة مع المسيح؛ يرى المسيح فينا ويرانا في المسيح.

والعلاَّمة كليمندس الإسكندري يرى أن العامل الرئيسي في الإبقاء على هذه الوحدة المتكاملة في المسيح هو الروح القدس:

[ليس بعد بربري أو يهودي أو يوناني، ولا بعد رجل وامرأة؛ بل الإنسان الجديد المخلوق ثانية بالروح القدس.](١٤)

والقديس إيرينيئوس يعبِّر عن هذه الوحدة بمبدأ لاهوتي معروف في كل كتاباته مضمونه أن المسيح استطاع بالروح القدس أن يمركز البشرية في حسده وفي شخصه، فصار المسيح "رأساً وحسماً وشخصاً للانسان الجديد المخلوق منه. "(١٥)

والقديس يوحنا ذهبي الفم يرى أنها مقدرة إلهية فائقة أن يجمع

Hom. on the Gospel of John, Tract. XXI, 81; NPNF 1st Ser, VII, p 140.(\r)

Protrept., XI, 112, 113; Sources Chrétiennes 2, 180. (\ \xi)

Adv. Haer., IV, 33, 14-15; PG VIII, 1082. (10)

المسيح المتضادات والمتخالفات ويوحدها بالروح القدس في جسده: [ما معنى هذا؟ معناه أن المسيح جعل الكل وجمع أشتات المتخالفات في جسد واحد.](١٦)

ونحن نرى مقارنة ذات اتجاه خِلْقي وذات غاية متقابلة بين آدم الأول وآدم الثاني (المسيح): فآدم الأول كان الشخص الذي انقسمت منه وانقسمت بواسطته البشرية، وتعددت وتلونت وتخالفت إلى أشكال وأجناس وألسنة وأمم. وكان ذلك بسبب الخطية بتوسط الشيطان.

وجاء آدم الثاني المسيح الرب، وجمع البشرية مرة أخرى في شخصه، وصالحها في طبيعته ووحَّدها في وحدته؛ وذلك بسبب برِّه وقداسته بتوسط الروح القدس.

والقديس كيرلس الإسكندري عمود الدين يضيف إلى هذا المعنى قولاً جديداً يجيء في موضعه، حتى لا يتسرَّب إلى الذهن أن تمركز البشرية في شخص المسيح الذي ينادي به إيرينيئوس يحمل مثلاً نوعاً من ضياع شخصياتنا وملاشاتها في انجماعها وتوحدها بشخص المسيح فقال:

[إن الكنيسة التي هي جسم البشرية الجديد، ولو أنها ذات طبيعة واحدة في المسيح إلا أنها تشمل في تكوينها أشخاصاً بشريين متميزين منفردين متعددي الفضائل، غير أنهم متأصلون

Hom LXV, NPNF 1st Ser, XIV, 241. (17)

جميعاً في جسد المسيح الواحد، يتغذُّون من ذات الطعام الواحد.](١٧)

(٢) الروح القدس عامل مباشر في تكوين الشخصية الجديدة:

الروح القدس حينما يملأ هيكلنا الجديد يملأه بمواهب وقدرات حديدة؛ هذه المواهب هي التي توجّه الشخصيات وتطبعها بطابع خاص.

ليست موهبة كالأخرى، فمع أن الروح واحد لكن المواهب كثيرة جداً ومتعددة. «فإنه لواحد يعطَى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان بالروح الواحد، ولآخر عمل قوات، الواحد، ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوات، ولآخر نبوة، ولآخر تمييز الأرواح، ولآخر أنواع ألسنة، ولآخر ترجمة ألسنة؛ ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه، قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء.» (١١-٨-١١)

ولكن بالرغم من هذا التمايز المتعدد النواحي في الشخصيات الموهوبة بالروح القدس، إلا أنها تعمل بقيادة الروح الواحد لحساب المسيح!! فنحن، من ناحية، نجد الروح القدس يوحِّد البشرية كلها في حسم واحد، فيزيل جميع الفوارق الجنسية ويرفع الحواجز العنصرية، فتذوب كلها وتصير البشرية كأنها عُجنت من حديد عجينة واحدة متحانسة؛ وذلك بفعل الاتحاد في حسد المسيح السري.

De Trinitate, 1; PG 75, 697. (\V)

ومن ناحية أخرى، نجد نفس الروح القدس يعمل على خلق شخصيات متمايزة، بأن يهب لشخص ما لا يهبه لآخر، ويقسم الأعمال تبعاً للمواهب؛ وإنما بحكمة ومقدار، حتى يصير من هذه المتمايزات وحدة أيضاً، وحدة عمل وبنيان تهدف كلها لغرض واحد وهو اكتمال هذا الجسد الواحد السري أي الكنيسة.

ثانياً _ الروح القدس والميرون:

(أ) مسحة الروح القدس:

طبعاً، يعرف القارىء أن الميلاد الجديد للإنسان الذي يُقال له عند العامة "التنصير" يتم بواسطة إجراء سر المعمودية، يتلوه سر مسحة الميرون. غير أن سر مسحة الميرون يلزم حسب الطقس الكنسي أن يُجرى للمعتمد مباشرة بعد صعوده من الماء.

والروح القدس عامل أساسي في كِلا السرَّين: في الأول يلد الإنسان، وفي الثاني يحل على المعتمد ليملأه. في الأول يشترك المعتمد في حسد المسيح السري، وفي الثاني يشترك الممسوح في مسحة المسيح على الأردن!! والروح القدس واسطة الاتحاد في السر الأول بالتطهير، وفي السر الثاني بالتقديس ومنح المواهب الروحية للنمو.

سر المسحة بالميرون المقدس هو مثيل مباشر لمسحة المسيح بالروح القدس بعد خروجه من مياه الأردن، هذا من جهة الطقس. أما من جهة الأثر الفعلي، فالروح القدس بواسطة رشم الزيت المقدس يجعلنا

شركاء في مسحة المسيح، أو بالحري يجعل المسيح الممسوح بالروح القدس حياً وعاملاً فينا!!

في هذا المعنى يتكلم القديس كيرلس الأورشليمي بكلمات إلهية قائلاً:

[قد صرتم مُسكاء إذ قبلتم الروح القدس، وكل شيء قد صار عليكم بحسب الرسم، إذ أنكم رسوم المسيح؛ فإنه لما استحم في نهر الأردن وصعد منه، انحدر الروح القدس عليه جوهرياً؛ واستراح المثيل على مثيله؛ ونحن أيضاً بعد أن صعدنا من جرن الينابيع المقدسة، مُنحت لنا المسحة رسمياً كما مُسح بها المسيح، أعني الروح القدس... ولكن انظر واحترس من أن تظن ذاك الميرون بسيطاً لأنه كما أن خبز الشكر بعد استدعاء الروح القدس ليس خبزاً بسيطاً ولا عمومياً بعد الدعاء، بل هو جسد المسيح، هكذا هذا الميرون المقدس، لا يعود ميروناً بسيطاً ولا عمومياً بعد الدعاء، بل هو موهبة المسيح وحضور الروح القدس فاعلاً فعل ألوهيته، فتمسح به كل جبهتك وسائر حواسك، والمسيح يكون هو الذي رسم. فإن الجسم يُدهن بالميرون الظاهر ولكن النفس أتقدَّس معاً بالروح القدس المحيي.] (١٨)

St Cyril of Jerusalem, On the Mysteries, XXI, 1, 3; NPNF 2nd Ser, VII, (\A) 149-150.

الروح القدس ظهر في عماد المسيح بهيئة حمامة؛ وهي في الرمز الإنجيلي تشير إلى رسالة الحياة الجديدة، كما حملتها حمامة الفُلك أيام الطوفان حينما جاءت بغصن الزيتون في فمها بعد انتهاء الفيضان علامة على ظهور الحياة الجديدة على الأرض.

الحمامة التي استقرت على المسيح كانت إشارة إلى انتهاء عهد الموت، موت طوفان الروح وبدء حياة جديدة بالروح القدس. في هذا المعنى يقول القديس أفرآم السرياني:

[إن سفينة نوح كانت تبشّر بمجيء المزمع أن يسوس الكنيسة في المياه، وأن يرتد أعضاؤها إلى الحرية باسم الثالوث الأقدس. وأما الحمامة، فكانت ترمز إلى الروح القدس المزمع أن يصنع مسحة هي سر الخلاص.](١٩)

الميرون الذي تستخدمه الكنيسة هو زيت شجرة الزيتون؛ لم تخرج الكنيسة قط عن ربط الرمز بالمرموز إليه، وتحقيق إشارات ونبوات الروح عملياً. فأوراق الزيتون التي حملتها حمامة الفلك علامة على بدء الحياة الجديدة على الأرض، استخرجت الكنيسة من ثمرتها زيت المسحة، وهيَّاته للحمامة غير المنظورة، أي الروح القدس، لكي يعطي به حياة جديدة بالروح.

كلمة "المسحة" تشير إشارة لفظية وعملية لكلمة المسيح. الآب مسح ابنه بالروح القدس بعد العماد؛ كذلك يعمل الروح القدس في

Hymnen de Fide 49, 4; CSCO 154, p 155. (19)

سر المسحة؛ إنه يُشركنا في مسحة المسيح كقول القديس كبريانوس: [مَنْ اعتمد ينبغي أن يُمسح أيضاً لكي يصير بواسطة المسحة مسوحاً لله ويأخذ نعمة المسيح.](٢٠)

الابن أرسل الروح القدس من عند الآب كوعد الآب!

الآب مسحنا بالروح القدس لنكون أعضاء في حسد ابنه!

سر المسحة يثبِّتنا في الثالوث الأقدس... إنه سر التثبيت:

+ «ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا.» (٢كو ٢١:١-٢٢)

(ب) ختم الروح القدس:

أو الختانة الروحية، جلجال العهد الجديد:

أول من تكلم عن فعل الروح القدس في الإنسان كختم هو بولس الرسول؛ وأول فكرة عن الختم كانت مرادفة للختان الذي أجراه إبراهيم في لحم غرلته كأمر الرب له، كعلامة أو شهادة دائمة على إيمان إبراهيم بالله: «وأخذ علامة الختان ختماً لبر الإيمان.» (رو

إبراهيم أخذ ختم إيمانه في الجسد بختانة عضو التناسل الذي هو عضو حياة الجسد. وكان هذا رمزاً لختم الإيمان الذي سيكون بختانة القلب في الداخل الذي منه مخارج الحياة الروحية!!

Letter 70, 11, 2. (Y)

+ «لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهودياً ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختاناً، بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي وختان القلب بالروح هو الختان.» (رو ٢٠٨٢و٢٩)

إبراهيم آمن بالله الذي يُحيى الموتى فحُسب إيمانه برَّا: «ولكن لم يُكتب من أجله (أي إبراهيم) وحده أنه حُسب له، بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيُحسَب لنا، الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات. الذي أُسلم من أجل خطايانا، وأُقيم لأجل تبريرنا.» (رو ٢٣٠٤-٢٥)

نحن نؤمن أن يسوع المسيح مات وأنه قام أيضاً؛ نحن نعتمد لنبرهن على إيماننا عملياً فنشترك معه في الموت والقيامة.

إن معموديتنا، إذن، هي شهادة إيماننا. لذلك صارت المسحة بالميرون المقدس بعدها عبارة عن حتم سرِّي بالروح القدس، ختانة روحية في القلب، علامة أبدية غير منظورة أننا «قد تبررنا بالإيمان»!! (رو ٥:١)

هذا الختم نأخذه الآن في هذا الدهر عربون ميراثنا في الحياة الأبدية: «الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا» (٢ كو ٢٢١١). هذا الختم عينه محفوظ لنا إلى اليوم الأخير: «لا تُحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء.» (أف ٢٠٠٤)

وسيظل هذا الختم هو العلامة التي تميّز أولاد الله الوارثين مع المسيح ليُحفظوا من الضربات الأخيرة على الأرض: «وقيل له أن لا يضر

عشب الأرض ولا شيئاً أخضر ولا شجرة ما إلا الناس فقط الذين ليس لهم ختم الله على جباههم.» (رؤ ٤:٩)

صورة الختم:

يقول القديس كيرلس الأورشليمي:

[لا تنسوا الروح القدس في أوقات استنارتكم، لأنه يكون حينئذ مستعداً أن يختم نفوسكم بختمه.](٢١)

ما هذا الختم يا تُرى؟

لو تتبعنا كلمة ختم وهي ترجمة سفراجيس Sphragis Σφραγίς في اللغة اليونانية وهي اللغة التي كتب بها بولس الرسول رسائله؛ بحدها وحصوصاً من الناحية الطقسية الفنية وتعني علامة خاصة تُصنع على الجبهة، إما للحيوانات الطاهرة المعدَّة للذبيحة الإلهية، أو للعبيد الخصوصيين أو الجنود التابعين.

هذه الكلمة عينها استخدمها بولس الرسول بمعنى «سِمَة»: «إني حامل في حسدي سمات الرب يسوع.» (غل ١٧:٦)

وهكذا نستطيع أن نتتبع المعنى الذي كان يقصده من قوله: «بولس عبد ليسوع المسيح» (رو ١:١)، و«قد حُسِبنا مثل غنم للذبح» (رو ٣٦:٨)، و «اشترك أنت في احتمال المشقات كجندي صالح ليسوع المسيح.» (٢تي ٢:٣)

Cat XVII, 35; NPNF 2nd Ser, VII, 132. (Y))

إذن، فالختم الذي يطبعه علينا الروح القدس في المسحة لابد أنه يحمل اسم وصورة المسيح كصاحب ومالك لنفوسنا؛ فلا نعود بعد ذلك أحراراً لأنفسنا بل عبيداً للذي اشترانا بدمه: «أم لستم تعلمون ... أنكم لستم لأنفسكم، ... لأنكم قد اشتريتم بثمن.» (١ كو ٢٠-١٩٠٢)

وماذا تكون صورة المسيح المطبوعة علينا؟ إلا هو مصلوباً أو متألماً، أو على الأقل مقيَّداً ومُهاناً، يحاكم أمام هيرودس أو بيلاطس!!

حينما يختمنا الروح القدس بصورة المسيح في طقس المسحة نصير أحد ثلاثة: إما عبداً خاضعاً ليسوع المسيح يقوده في موكب نصرته؛ أو جندياً صالحاً يجاهد الجهاد الحسن؛ أو غنمة مستضعفة محفوظة ليوم الصليب!

قوة الختم:

ليس الختم هـ و مجرد صورة، بل هو فعل روحي يتغلغل كل كيان الإنسان الجديد حتى أعماقه: «إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ.» (عب ١٢:٤)

هو عملية تقديس الأعضاء بطبيعة الروح القدس النارية؛ فيها تحترق كل شوائب الفكر البشري غير الصالحة وكل الأعمال الميتة: «يُطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي.» (عب ١٤:٩)

والكاهن حينما يقوم بإجراء طقس المسحة ويرشم الأعضاء الظاهرة بالميرون المقدس، وعددها ٣٦ رشماً، فهو في الواقع يختم الأعضاء الداخلية أيضاً التي للإنسان الجديد؛ هو يقدِّس الحواس جميعاً؛ هو يقدِّس كل عضو (٢٢) حتى يصير الإنسان كله «خليقة جديدة في المسيح.» (٢ كو ١٧٠٥)

وفي هذا المعنى نجد للقديس كيرلس الأورشليمي كلمات معزِّية: [هذه المسحة احفظوها طاهرة لأنها تعلِّم كل شيء إذا لبثت فيكم، لأن الروح القدس حِرْزُ للجسد وخلاص للنفس.](٢٣)

ختانة الأعضاء:

حينما يبدأ الكاهن برشم الميرون، يبدأ من منتصف الرأس، وإني لمتعجب ومندهش من حكمة الكنيسة في ذلك، فرأس الإنسان يحوي المخ حيث تتجمَّع مراكز التفكير والتمييز والحواس جميعاً!!

رأس الإنسان هو حصن العقل، أول جزء اقتحمه الشيطان، وأول عضو دخلته الخطية، عندما أكل آدم من شجرة معرفة الخير والشر.

عقل الإنسان كان حصناً إلهياً منيراً، مركز المعرفة الذي يستمد به معرفة الحق الإلهي كاملاً دون انقسام أو بلبلة. ولكن بعد أن اشتهى الإنسان المعرفة المستقلة، وأن يكون كالله عارفاً، عارفاً بشخصه وبمقدرته،

⁽٢٢) إن الخطية التي تقع على الكاهن الذي لا يدقق في رشم الأعضاء بالميرون، أو يختصرها، أو يهملها جملة، مكتفياً بإلقاء جزء من الميرون في ماء المعمودية؛ هي خطية عظيمة تحمل في معناها الازدراء بقيمة عمل الروح القدس في الرشومات واحتقاراً لسر المسحة وأثره، وهذا قد انعكس على المعمّدين، وخصوصاً أو لاد هذا الجيل، فنشأوا غير ثابتين والتهبت أعضاؤهم بالشهوة.

St Cyril of Jerusalem, *On the Mysteries*, III, 7; Cat XXI, 7; NPNF 2nd Ser, (YY) VII, 150.

وهامَ وراء الاستقلال الذاتي، وحوَّل مركز تقبُّله للحقائق من الله إلى ذاته، تعرَّض في الحال لنقص في المعرفة لأنه أصبح يستمدها من حبرته الشخصية، وما الخطأ أو ما الخطية في أصولها إلا معرفة ناقصة!!

ومنذ آدم حتى اليوم والعقل هو العضو الأول الذي يقتحمه الشيطان ويصنع فيه كل خطية وكل إثم وكل نجاسة!!

انظر أنت نفسك كيف تدخلك الخطية، وبأي مكان فيك تبدأ عملها! إنه عقلك. فإذا احتلت الخطية هذا الحصن الجبار، استولت على حسمك كله، واستعبدت جميع أعضائك، وسخّرت كل إرادتك وقوتك وإمكانياتك.

لذلك، فالروح القدس ــ بالمثل ــ أول ما يقدِّس يقدِّس العقل؛ يختنه ختانة روحية، يضع عليه ختم الله حتى لا يعود يفتح أبوابه بسهولة أو بخضوع ذليل للشيطان وحيله، بل يجاهد بكلمة المسيح ويغلب بسيف الروح.

وكما ملكت الخطية على الجسد واستعبدت أعضاءه «كآلات إثم للخطية» وكان الإنسان كله «عبداً للنجاسة»، كذلك حينما يملك الروح القدس عقل الإنسان ويقدِّسه يصيِّره «عبداً للبر»، ويجعل أعضاءه تخدم «آلات بر للقداسة.» (رو ٢:٣١٩ و١٩ و١٩)

وكما التهب العقل بالشهوة فاشتعلت الأعضاء كلها تبعاً له، كذلك يلتهب العقل بحب الله والقداسة فتشتعل الأعضاء كما بنار الله، فيشتهي الإنسان في هذه اللحظات لو يصير ذبيحة. إن العقل هو حصن الإنسان الإلهي الذي خرَّبه الشيطان بالشهوات والنجاسات؛ ولكن عاد الروح القدس وأصلحه وجدَّده وختمه، جاعلاً فيه حارساً ليس ضعيفاً كالناموس ووصايا موسى؛ بل قوياً جباراً هو الحق!!

الحق هو حارس العقل، الحق هو هبة الروح القدس للعقل البشري. الخطية استعبدت الإنسان لما ملكت عقله؛ أما الحق فحرر العقل من كل سلطان الخطية: «تعرفون الحق والحق يحرركم!!» (يو ٢٢:٨)

يستمر الكاهن في رشم الأعضاء، فيمر على وجه المعتمد ويرشم حواسه بمثال الصليب: الأنف والفم والأذن اليمنى مع العين اليمنى ثم العين اليسرى ولا يرفع أصبعه حتى يتسنى له أن يصنع من هذه الرشومات صليباً واحداً على كل الوجه!!

ثم يكمل بقية أعضاء الجسم كله ٣٦ رشماً، لا يترك عضواً أو مِفْصلاً أو جزءاً في الجسم إلا ويختمه بخاتم الروح.

وهكذا يكمل الكاهن ختانة الأعضاء وكأنه يخلع عنها غُلْفتها، «وبه أيضاً خُتنتم ختاناً غير مصنوع بيد، بخلع جسم خطايا البشرية» (كو ١١:٢)، ويعطيها ختم الروح للشهادة وصورة المسيح.

بعد ذلك تصير الأعضاء كلها للمسيح، بل كما يقول بولس الرسول تصير «أعضاء المسيح». لذلك فهو يقشعر حينما يتصور أن إنسانا ما يعود ويستخدم هذه الأعضاء للنجاسة فيقول: «أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية، ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح.» (١كو ٢٥٠١)

حراسة الختم:

ولكن هل ختم الروح القدس الذي نناله بالميرون لا يتلوث قط! نفهم من قول للقديس أثناسيوس أن تلوث الفكر والأعضاء بعد المعمودية أمر لا مفر منه:

[إن العقل هو مرآة الله الكلمة، ما أسهل أن تتلوث هذه المرآة. ٢٤/٢)

ولكن أمر تحديدها وغسلها هو أمر يتكفل به الروح القدس أيضاً في سر الاعتراف والتوبة.

فالقديس أثناسيوس يعود ويقول إنه كما أن المعمَّد يستنير بنعمة الروح القدس، هكذا بواسطة الكاهن ينال التائب الغفران بنعمة المسيح.

وكذلك القديس أغسطينوس يقول في ذات المعنى:

[إن الخطية التي يفعلها موعوظ تُغسل بالمعمودية، وإذا فعلها معتمد تُترك بالتوبة. ٢٥٥٢)

فالتوبة هي ضابطة المعمودية، وحارسة أختام المسحة، وهي الحافظة على حقوق المعتمد، والضامنة لبقاء وعد الميراث!!

المختومون: الجلجال الجديد:

حينما عبر يشوع الأردن مع بين إسرائيل، تلقُّوا أمراً إلهياً بعدم التحرك والتزام حدود الجلجال بجوار ضفة الأردن الغربية إلى أن

Cited in: Orthodox Spirituality, p. 51. (Y 5)

⁽٢٥) كتاب: "أسرار الكنيسة السبعة"، حبيب جرجس، ص ١٢٩.

يختتنوا جميعاً في لحم غرلتهم: «وصعد الشعب من الأردن في اليوم العاشر من الشهر الأول وحلوا في الجلجال في تخم أريحا الشرقي، في ذلك الوقت قال الرب ليشوع: اصنع لنفسك سكاكين من صوان وعُدْ فاختن بني إسرائيل.» (يش ١٩:٤، ٢:٥)

هكذا بعدما اعتمد بنو إسرائيل في الأردن التزموا بالختان مباشرة إعداداً للدخول بهم إلى كنعان أرض فلسطين أرض الموعد!! وكل من وُجد غير مختون لا يصير من عداد الشعب ولا يكون له نصيب في كنعان.

ما أبدع الرمز وما أقوى التشبيه! فلم تكن كنعان أرض الراحة الجسدية إلا رمزاً لكنعان السمائية الراحة العليا. ولم يكن الأردن إلا تعبيراً عن المعمودية دائماً، وعبوره يرمز إلى احتياز الموت الذي حازه الرب قديماً بالتابوت وحديثاً بجسده في القبر. وما شعب إسرائيل إلا رمز لباكورة المفديين الذين عبروا مع الرب في الأردن قديماً وفي حرن المعمودية حديثاً.

ولم تكن الختانة في الجلجال بعد عبور الأردن مباشرة في لحم الغلفة إلا رمزاً للختانة الروحية في القلب التي تجيز لحامليها الدخول إلى الراحة الأبدية وحق الامتلاك والميراث مع المسيح في المجد.

- + «وسمعت عدد المختومين مائة وأربعة وأربعين ألفاً مختومين من كل سبط... بعد هذا نظرت وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعدَّه من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة.» (رؤ ٧:٤و٩)
 - + «وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم.» (رؤ ٢٢:٤) يا إخوة، كلما عيَّدتم للعنصرة تذكَّروا بهذه الأمور.